المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق

THE CONSULTATIVE CENTER FOR STUDIES & DOCUMETATION

ما بعد «السور الواقي»

تقويم شامل للوضع الإسرائيلي

11

سلسلة غير دورية، تُعنى بالشؤون والقضايا السياسية والإنمائية

ما بعد «السور الواقي»
تقويم شامل للوضع الإسرائيلي

* أعدّت هذه الدراسة بتا

ثبت المحتويات

استهلال ٧

أهداف عملية السور الواقي ٩

دوافع عملية السور الواقي ٩

نتائج عملية السور الواقي ١١

قادة التنظيم في الضفة ١٣

قادة حماس في الضفة ١٣

قادة الجهاد الإسلامي في جنين ١٤

الأضرار الناجمة عن عملية السور الواقي ١٥

الآراء والتحليلات النقدية لعملية السور الواقي ٢٠

الآفاق السياسية ٢٦

حول الدولة الفلسطينية ٣٤

حول عرفات ٣٤

حول المؤتمر الدولي ٣٤

حول الإصلاحات في السلطة ٣٤

حول أعضاء المركز ٣٥

تقويم شامل للوضع الإسرائيلي ٤١

مستجدّات: خطط يَعلُون والإنتفاضة ٤١

إستهلال

ما هي أهداف هذه العملية وهل نجحت في تحقيق تلك الأهداف ، كيف تعاطت النخبة ، «الطبقة السياسية» . . مع عملية السور الواقي ، كيف نظر الشارع الإسرائيلي إلى العملية ، كيف فهمها ، ما هي أسباب موافقته على عملية كبيرة بهذا الحجم «حرب صغيرة» استوجبت استدعاء ما يقارب الـ : ٣٠,٠٠٠ من قوات الاحتياط .

سنعرض كذلك لآراء قادة عسكريين حول السور الواقي ، هل اقتنعوا أن السور قد حقق أهدافه في حماية العمق الأمني الإسرائيلي من عمليات المقاومة الفلسطينية ، والاستشهادية منها خصوصاً ، إذا كانت الإجابة بنعم فكيف عادت العمليات إلى وتيرتها السابقة تقريباً ، ولماذا يتم الحديث عن السور الواقي «٢» . وإذا كانت الإجابة بلا فهل هناك وسائل عسكرية أخرى ما زال الجيش الاسرائيلي لم يستخدمها حتى الآن في مواجهة الانتفاضة .

شهران مرّا الآن منذ بدء عملية السور الواقي (٢٩ مارس) وشهر تقريبا على إنتهاء العملية ، فما هو تقييم كبار المحللين الإسرائيليين ـ عسكريين وسياسيين ـ لهذه العملية ، خصوصاً مع تزايد عمليات المقاومة الفلسطينية في الفترة الأخيرة ، بحيث بات التساؤل عن جدوى السور الواقي أكثر إلحاحاً وحضوراً في النقاش الإسرائيلي الداخلي .

لعل الأهم فيما يتعلق بعملية السور الواقي ذلك الجانب المتعلق بالشق السياسي أو المجال السياسي . فهل نجحت العملية في خلق وإيجاذ آفاق سياسية

قادرة على فتح الباب واسعاً أمام تسوية ما بين الفلسطينيين وإسرائيل أم أنها سدّت عملياً الأبواب أمام أي تسوية سياسية . بمعنى آخر هل أوجدت عملية السور الواقي زخماً لأي مفاوضات مستقبلية بين الطرفين أم أنها أدت إلى إستحالة وصعوبات هكذا مفاوضات .

أهداف عملية السور الواقي:

يمكن تلخيص تلك الأهداف تحت ثلاثة عناوين رئيسية:

١- تحطيم ما تسميه اللغة السياسية والعسكرية الإسرائيلية البنى التحتية لحركات المقاومة الفلسطينية من قبيل قتل أو إعتقال رموز وكوادر الأجنحة العسكرية لتلك الحركات ونزع سلاحها، وبالتحديد ما يتعلق بالعمليات الاستشهادية مثل معامل العبوات «القنابل» والأحزمة الناسفة والصواريخ محلية الصنع وما إلى ذلك.

٢- تحطيم البنى التحتية للسلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية بعد ما باتت هذه السلطة لا تستطيع أو لا تريد تنفيذ المهمات الأمنية المكلفة بها حسب اتفاق أوسلو، أي السهر على حماية أمن إسرائيل وأمن مستوطنيها.

٣- كسر إرادة الشعب الفلسطيني عبر عمليات القتل والتشريد وتدمير البنى التحتية - مدارس - طرق - مواصلات - مستشفيات بحيث يصبح هذا الشعب منشغلاً في التفكير والبدء بإعادة البناء والإعمار بعيداً عن أي «أجندة» سياسية أو القبول بما تمليه إسرائيل (حكومة شارون) من أفكار وخطط سياسية.

دوافع عملية السور الواقي:

غير أن فكرة أوضح لعملية السور الواقي قد يتم استخلاصها عبر متابعة بعض التصريحات الإسرائيلية الرسمية التي شرحت أو أوضحت ظروف هذه العملية وأهدافها.

وزير الحرب بنيامين بن اليعزر يقول إن ما حدث لنا في شهر مارس هو الجحيم بعينه ولا يمكن بلعه أبداً ويجب عمل كل شيء حتى لا تتكرر نتائج هذا الشهر بعد الآن. علينا أن نفعل كل شيء وفي كل زمان وفي كل مكان من أجل أن يتوقف هذا. وجدير بالذكر هنا أن شهر مارس هو الشهر الذي سقط فيه أكبر عدد من القتلى الصهاينة منذ اندلاع انتفاضة الأقصى، إذ سقط في هذا الشهر ١٤٢ إسرائيلياً، مع العلم أن مجمل من قتل من الإسرائيليين طوال أشهر انتفاضة الأقصى حتى نهاية مارس هو ٤٤٢ قتيلاً، أي أن ثلث القتلى الإسرائيليين خلال الانتفاضة سقطوا في شهر مارس فقط.

أما رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون فقد خاطب الإسرائيليين عند بدء العدوان قائلاً:

«أيها الإسرائيليون، إن إسرائيل في حالة حرب، حرب ضد الإرهاب، يجب أن نقاتل هذا الإرهاب في حرب لا هوادة فيها للقضاء على هؤلاء الهمجيين ولتدمير بنيتهم الأساسية لأنه لا يوجد حل وسط مع الإرهابيين».

عند الحديث عن الظروف التي انطلقت منها عملية السور الواقي لا بد من ملاحظة أنها انطلقت بعد يوم واحد على إنتهاء القمة العربية التي عقدت في بيروت أواخر مارس الماضي وتضمنت تبنّي مبادرة الأمير عبد الله للسلام التي تحدثت عن تطبيع أو علاقات عادية بين الدول العربية وإسرائيل مقابل انسحاب هذه الأخيرة من جميع الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧. غير أن شيئاً آخر حدث في قمة بيروت وهو المصافحة أو العناق بين رئيس الوفد السعودي - الأمير عبد الله - ورئيس الوفد العراقي عزت إبراهيم - وتبنت القمة أيضاً قرارات ترفض العدوان على العراق وترحب بحل سلمي لخلافه مع الكويت أو خلافه مع الأمم المتحدة.

وهنا يبدو منطقياً التفكير باتجاه أن أميركا التي انزعجت مما تم في بيروت، وخصوصاً فيما يتعلق بالملف العراقي، أرادت توجيه رسالة عبر

إسرائيل إلى العرب فحواها أن التشدد العربي في المسألة العراقية سيقابله تشدد أميركي في الموضوع الفلسطيني، والعكس قد يكون صحيحاً أيضاً.

نتائج عملية السور الواقي:

أول تقييم من الجانب الإسرائيلي لعملية السور العراقي جاء عبر مقابلة مع رئيس الأركان شاؤول موفاز مع صحيفة «**يديعوت أحرونوت**» بتاريخ: (١٦/ ٤/ ٢٠٠٢) أجرى المقابلة سيفر بلوتسكر محلل الاستطلاعات في الصحيفة. قال موفاز في هذا اللقاء معلقاً على عملية السور الواقي: «لقد ألحقنا بالفلسطينيين هزيمة عسكرية إلا أننا لم نلحق بهم هزيمة في الوعي». وحسب موفاز، فان عملية السور الواقي لم تحدث تغييراً كبيراً. فقد احتل الجيش الإسرائيلي الضفة الغربية وقام بتطهيرها من الإرهاب، إلا أنه بقي في قلوب وعقول القادة الفلسطينيين باعتباره الوسيلة الصحيحة لتحقيق الأهداف التي لم تتغير مرحلة تلو الأخرى من أجل إلقاء إسرائيل في العجز.

وعندما سأل محلل «**يديعوت أحرونوت**» موفاز عن معنى مصطلح «هزيمة في الوعي» قال موفاز بأن ذلك يعني أن إدراك الفلسطينيين التام بأن طريق القوة والإرهاب في مواجهة إسرائيل لم تنجح ولن تنجح وأن اليهود سيعيشون هنا في دولتهم السيادية حتى الأبد.

عندها سأل بلوتسكر مستغرباً: الحرب بيننا وبينهم تدور حول الوعي إذاً؟

أجاب موفاز بالحرف، هذه حرب حول الوعي الوطني لكل جانب، لذلك تعتبر عملية السور الواقي استمراراً لحرب الاستقلال، حتى بعد ٥٤ عاما على قيام الدولة ليس في القيادة الفلسطينية تنازل واعٍ عن استراتيجية الإرهاب، ولم تنضج في الشارع الفلسطيني فكرة الإدراك بحق دولة اليهود في الوجود، هذا الإدراك يتعزز ويترسَّخ مع كل نصر إسرائيلي، وفي كل

جولة من المواجهات وسيضعف إذا أبدت إسرائيل علامات على التنازل للإرهاب.

مرة أخرى يتدخل الصحافي من «**يديعوت أحرونوت**» متسائلاً، ولكن ماذا بالنسبة لنا هل استوعبنا فكرة وجود الشعب الفلسطيني الذي يتطلع لدولة خاصة به؟

يجيب موفاز: علينا أن ندرك أن الفلسطينيين يعيشون إلى جانبنا كشعب آخر وهم لن يذهبوا من هنا ولن يتنازلوا عن حقوقهم، ولكن الأمر متعلق بالحرب على الوعي أي الحرب التي تنتهي فقط عند الاعتراف بأفضلية الحل السياسي على حل استخدام القوة والعنف، فأنا أعتقد أن الصراع سيكون طويلاً وما نحن إلا في أحد مراحله.

أحد مراحله الأخيرة؟ يسأل بلوتسكر.

يجيب موفاز بصورة تعطي فكرة عما حققته عملية السور الواقي: «يا ليتني أستطيع أن أجيبك بنعم، نحن في فترة مصيرية، الاستسلام والتنازل للإرهاب بحيث يستطيعون تسجيل إنجازات سياسية في رصيدهم قد يؤثر على كل أعدائنا ويهدد وجودنا ذاته بالخطر».

مساء اليوم نفسه (١٦/ ٤/ ٢٠٠٢) أجرت القناة الأولى في التلفزيون الإسرائيلي مقابلة مع رئيس الحكومة آريئيل شارون بمناسبة ما يسمى عيد الاستقلال لدولة إسرائيل قال فيه شارون: «من الناحية الأمنية نحن استعدينا وهذا ما قلناه في الماضي، بعد أن تستكمل المهمات بأن نسحب قواتنا بالتدريج بشكل يتناسب مع عملية تنفيذ إنهاء المهمات، وهذا ما قلته للأمريكيين وهم يفهمون هذا الأمر وليست لديهم أي عقبة في هذا الموضوع أما من ناحيتنا في حال حدوث عمليات إرهابية».

هنا يقاطعه المذيع متسائلا هل سيكون هناك عمليات إرهابية؟

أجاب شارون: «أنا لا أعتقد بأن هذه العملية قد قضت على الأعمال الإرهابية، لكن هذه العملية كانت ضربة قاسية للبنى التحتية للمنظمات الإرهابية من حيث الإعتقالات الأكثر مركزية وضربة مهمة جداً للعمليات الإرهابية وللأشخاص الذين يقفون وراء العمليات الإرهابية التي تلقت هي الأخرى ضربة صعبة فهذا طبعا سيؤثر».

الصحافة الإسرائيلية، ومنذ منتصف أبريل تقريباً، بدأت التحدث عن خسائر الطرف الفلسطيني جراء عملية السور الواقي. ومساء ١٥ أبريل أورد المحلل العسكري للتلفزيون الإسرائيلي، وبناء على مصادر الجيش الإسرائيلي الأرقام التالية عدد القتلى: ١٨٨ بينهم ٤٥ قتلوا في جنين، وعدد الجرحى: ٥٩٩ من بينهم ٢٧٧ جرحوا في مخيم جنين، وعدد الأسرى ٤٢٣ من بينهم ٣٧٥ هم من المطلوبين تم إطلاق سراح ٢٦١ فيما لا تزال البقية رهن التحقيق لدى «الشاباك» «جهاز المخابرات».

وبتاريخ (١٩/ ٤/ ٢٠٠٢) عدّدت صحيفة «**يديعوت أحرونوت**» ما وصفته الشاباك إنجازات السور الواقي في العملية على النحو التالي:

قادة التنظيم في الضفة:

- المستوى الرفيع: مروان البرغوتي اعتقل، ناصر عويس اعتقل، جمال حويل اعتقل، عبد الكريم عويس اعتقل، أحمد برغوثي اعتقل.

- المستوى المتوسط: زياد عمار قتل، شريف ناجي اعتقل، جمال شعدون قتل، ماجد كيف قتل.

قادة حماس في الضفة:

- المستوى الرفيع: قيس عدوان قتل، حسام بدران (نابلس) اعتقل، سليم حجّة (جنين) قتل، جمال طويل (رام الله) اعتقل.

- المستوى المتوسط: روحي طبيلة (نابلس) اعتقل، شادي بوشكار

(نابلس) اعتقل، إبراهيم أبو الرب (رام الله) اعتقل، أحمد أبو طرّا (رام الله) اعتقل.

قادة الجهاد الإسلامي في جنين:

- المستوى الرفيع: محمود طوالبة قتل، ثابت مرداوي اعتقل، علي صفوري اعتقل، عبد الحليم حجة اعتقل.

- المستوى المتوسط: أيمن دراغمة قتل، فؤاد بشارات قتل، محمد ياسين قتل، ربيع أبو الرب اعتقل.

أما ما تطلق عليه الصحافة الإسرائيلية: «الوسائل القتالية» فقد تبين من معطيات جيش الإحتلال أن ما ضبطه من تلك الوسائل يمكن حصره كما يلي:

١٣٣١ بندقية كلاشينكوف، ٣١ بندقية م١٦، كومندوا و٦٦٦ بندقية م١٦ عادية، ٤٣ قناصة، ٧٥٥ مسدساً، خمسة قواذف أربي جي، و ٤٩ قذيفة، وثلاثة مدافع هاون، وثلاث قذائف، و٢٦ ماغ و ٣٠٢ مخزن أسلحة و١٣ وسيلة رؤية ليلية، و ٢١ قنبلة يدوية، و٢٨ صندوق ذخيرة، و٧٨ منظاراً، و٥ مصانع لإنتاج العبوات، و ١٧ عبوة جاهزة، و ٣٠ كم من المواد الناسفة، و٥ أحزمة ناسفة، و٣٩ سترة واقية، إضافة إلى ذلك ضبط جيش الاحتلال عشرات المناظير وأجهزة وحواسيب وسكاكين وغاز مسيل للدموع، وكميات كبيرة من الملابس العسكرية وملابس يهودية «خصصت للاستشهاديين». وضبط الجيش كذلك صناديق فيها مواد كيميائية لإنتاج العبوات ودمر مخارط لإنتاج الوسائل القتالية.

طبعا لا حاجة لعظيم جهد للاستنتاج أن المحصلة السابقة متواضعة لحملة عسكرية قوامها ١٠ ألوية مدرعة إضافة إلى ما يربو على الثلاثين ألفاً من جنود الاحتياط مدعومين بمختلف أنواع الأسلحة المتطورة من دبابات وطائرات.

الأضرار الناجمة عن عملية السور الواقي:

التكلفة الاقتصادية: عند الحديث عن التكلفة الاقتصادية لكل طرف نتيجة عملية السور الواقي نجد أن أضرار السلطة الفلسطينية ومؤسساتها العامة والخاصة قدرت بما يزيد عن ٣٦٠ مليون دولار، بحسب وثيقة أعدت من قبل فريق معاينة للدول المانحة وللسلطة الفلسطينية وللبنك الدولي.

وبحسب الوثيقة التي نشرت صحيفة «**هآرتس**» مقتطفات منها ١٥/٥/٢٠٠٢ فإن الضرر الأكبر قد لحق بمدينة نابلس، وتقدر الأضرار فيها بـ ١١٥ مليون دولار .. وقد قدّر التدمير في مباني البلدة القديمة بنابلس، وهي معروفة كنقطة تراث ثقافي بحوالي ٤٣ مليون دولار، بينما قدِّرت الخسارة في الأماكن الثقافية بمدينة بيت لحم بما قيمته ٤ ملايين دولار.. ومن أجل المقارنة فقد أشار تقرير صادر عن البنك الدولي أواخر آذار/ مارس الماضي أن قيمة الأضرار في البنى الفلسطينية والمؤسسات العامة والخاصة منذ بداية الانتفاضة حتى كانون الثاني ٢٠٠٢ تقدر بحوالي ٣٠٥ ملايين دولار.

وحسب مصادر البنك الدولي فان الضرر المادي الذي أصاب الفلسطينيين نتيجة عملية السور الواقي لا يقارن بالأضرار التي أصابت الاقتصاد الفلسطيني نتيجة سياسة الحصار والإغلاق الإسرائيلية، علماً أن البنك الدولي يقدر تلك الأضرار بما قيمته ٢,٤ مليار دولار حتى يناير ٢٠٠٢.

وعلى الجانب الإسرائيلي، حسب تصريح وزير المالية سيلفان شالوم لمجلة «**بزنس ويك**» (BUSINESS WEEK) فإن الحرب على الفلسطينيين كلفت إسرائيل مليار دولار كنفقات مباشرة منذ أوائل آذار/ مارس الماضي و٥ مليارات دولار بسبب خسائر عائدات السياحة منذ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٠ بجانب إحجام المستثمرين عن الاستثمار.

أما كرنيت فلوغ رئيسة إدارة الأبحاث في بنك إسرائيل المركزي فقالت أن الاقتصاد الإسرائيلي يخسر ما يصل إلى ٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي في عام ٢٠٠٢ إذا ما استمرت الانتفاضة. كذلك، وحسب فلوغ، فان الخسائر الإسرائيلية الاقتصادية قد تصل إلى حوالي ٣٢ مليار شيكل (ما يعادل ٦,٧ مليارات دولار) مع نهاية هذا العام. جدير بالذكر أن حكومة شارون، ولتغطية نفقات السور الواقي قررت تقليص الميزانية وأتباع خطة تقشف بما يعادل ١٣ مليار شيكل تم استخدامها لتغطية الموازنات الأمنية والعسكرية.

رأي الشارع الإسرائيلي: منذ بداية عملية السور الواقي بدا الشارع الإسرائيلي متكتلاً ومندفعاً خلف رئيس الوزراء الإسرائيلي آريئيل شارون. هذا التكتل والاندفاع يمكن فهمه فقط عبر استطلاعات الرأي التي تظهر شعبية شارون العالية، وإنما أيضاً عبر انتخاب شارون نفسه الذي أتى في سياق الرد على الانتفاضة وتعبير من قبل الإسرائيليين عن الرعب والخوف والرغبة في تسليم زمام القيادة إلى جنرال متمرس عله يستطيع حمايتهم، أو على الأقل الحد قدر الإمكان من العمليات الاستشهادية التي نغصت عليهم حياتهم وحولتها إلى جحيم.

من سيل استطلاعات الرأي التي تظهر شعبية شارون فور التوقف عند أحد هذه الاستطلاعات التي نشرتها صحيفة «**معاريف**» بتاريخ (١٣/ ٤/ ٢٠٠٢) تحت عنوان «اليسار شطب والفكرة بقيت» ذكرت «**معاريف**» في بداية تقريرها الحقيقة المؤكدة هذه الأيام وهي أن الجمهور الإسرائيلي بات يميل إلى اليمين بشدة، ومع ذلك فإن الرغبة البائسة في إيجاد حل حسب الصحيفة، تدفع هذا الجمهور عميقا إلى أفكار اليسار حيث تبدي الأغلبية الاستعداد لقبول المبادرة السعودية، بما في ذلك الانسحاب من كل المناطق (الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧).

أول أسئلة الاستطلاع كان عن أكثر الشخصيات ملاءمة لمنصب رئيس الوزراء. بالطبع حاز شارون على ٦١٪، ونتنياهو على ٥٨٪، وقائد عملية

السور الواقي الجنرال شاؤول موفاز على ٢٩٪، أي أكثر من شيمون بيريز ٢٦٪، بن اليعزر ٢٢٪، حاييم رامون ١٥٪، ويوسي بيلين ١٢٪.

هذا الانزياح إلى اليمين يتواصل عند السؤال هل تؤيد أم تعارض حملة السور الواقي؟ فقد أعرب ٧٥٪ من الجمهور الإسرائيلي عن تأييدهم للعملية «الحملة» وعارضها ٢٠٪ فقط، ولكن عند الحديث عن المبادرات والاقتراحات السياسية بدا أن الجمهور اليميني يتبنى إلى حد ما أفكاراً يسارية، حيث إن نسبة ٥٧٪ من الجمهور الإسرائيلي تؤيد الفصل من طرف واحد بما في ذلك الانسحاب من ٨٠٪ من المناطق والضفة الغربية وغزة، وإقامة جدار فاصل بين إسرائيل وتلك الأراضي وحل مستوطنات وضم ٨٠٪ من المستوطنين إلى إسرائيل.

إلى ذلك أيد ٥٤٪ من المستطلعة آراءهم من الإسرائيليين إقامة دولة فلسطينية وعارضها ٤٠٪.

غير أن المفارقة تظهر عندما يوافق ٥٥٢ من الإسرائيليين على قبول المبادرة السعودية، والتي معناها حسب منظمي الاستطلاع، تسليم كل الأراضي والضفة الغربية وغزة مقابل السلام الشامل.

نفس النهج يستمر في الإجابة على السؤال الأخير من الشق السياسي من الاستطلاع: هل تؤيد ضم كل المناطق وتنفيذ ترحيل (ترانسفير) بحق الفلسطينيين؟، الإجابة هي: أن ٣٢٪ من الإسرائيليين يؤيدون ذلك بينما يعارضه ٦٠٪.

المثير أيضاً أن ٥٥٪ من المستطلعة آراءهم (نفس الاستطلاع) تصنّف نفسها على أنها من اليمين ونسبة ٢٢٪ ترى نفسها في الوسط، أما ١٧٪ فترى نفسها ضمن أليسار أو تميل إلى أليسار.

المدى اليميني يتضح أيضاً عندما يرى ٤٧٪ من الإسرائيليين أن الصحافة الإسرائيلية غير وطنية في تناولها لعملية السور الواقي. وعلى ذلك فإن نسبة ٦٩٪ تؤيد قرار الجيش في عدم السماح للصحفيين بتغطية العمليات

العسكرية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

جدير بالذكر أن الاستطلاع السابق أُجريَ على ٥٩٠ شخصاً من السكان الراشدين في الدولة العبرية تقدر نسبة الخطأ في التمثيل بحوالي ٤,٥٪.

حجم التغييرات في الشارع الإسرائيلي نتيجة الانتفاضة يتضح في نتائج استطلاع آخر للرأي أجراه معهد داحاف بطلب من حركة السلام الإسرائيلية «إئتلاف السلام» ونشرته صحيفة «**يديعوت أحرونوت**» الخميس ٢٠٠٢/٥/٩. وحسب هذا الاستطلاع فان ٥٩٪ من الإسرائيليين يعتقدون أن انسحاباً إسرائيلياً من الأراضي الفلسطينية يشمل إخلاء معظم المستوطنات اليهودية هناك سيؤدي إلى إستئناف المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

إستطلاع داحاف أظهر كذلك أن ٦٧٪ من الإسرائيليين يعتقدون أن انسحاب الجيش من الأراضي الفلسطينية وإنتشاره على طول امتداد الخط الأخضر سيثير الأمل في قلوب الإسرائيليين.

إلى ذلك اعتبرت نسبة ٦٣٪ من الإسرائيليين أن حل مشكلة ما يوصف إسرائيلياً بالإرهاب غير ممكن دون مفاوضات سياسية.

من جهتها نشرت وكالة «**رويترز**» تقريراً بعنوان «الانتفاضة تربك الخارطة السياسية»، أكد هذا التقرير أن الإسرائيليين يتحوَّلون يميناً بأفكار يسارية. وحسب التقرير فان تأييد اليمين الإسرائيلي إقامة دولة فلسطينية لم يعد أمراً من قبيل الانحراف السياسي. فقد تقدم الإسرائيليون خطوة إلى الأمام على طريق اليمين منذ بدء الانتفاضة الفلسطينية. في هذا الصدد تنقل «**رويترز**» عن خبيرة الرأي العام في جامعة تل أبيب تامار هيرمان، والتي تجرب استطلاعات للرأي عن السلام منذ اتفاقات أوسلو ١٩٩٣، قولها أن يساريين كثيرين تحوّلوا إلى الوسط أو اليمين في سياق تداعيات الانتفاضة. إلا أنه وفي تناقض غريب أصبحت أفكار معسكر السلام محل إجماع

اليمينيين. وأوضحت هيرمان في هذا الصدد أن العديد من الأفكار الأساسية في اتفاقات أوسلو أصبحت جزءاً من التفكير الإسرائيلي بشأن الوضع عموماً.

وأظهرت نتائج استطلاعات شهرية تجريها هيرمان أن ٧٥٪ من الإسرائيليين يفضلون تفكيك بعض المستوطنات الإسرائيلية على الأقل، فيما قَبِلَ ٨٠٪ إقامة دولة فلسطينية باعتبارها أمراً واقعاً.

كذلك تفضل غالبية الإسرائيليين الانسحاب من بعض مناطق قطاع غزة والضفة الغربية. وحسب الباحث الاجتماعي في جامعة تل أبيب لوحانا بيريس فان هذا يعتبر بمثابة الحل الذي لم يختبر من قبل.

«رويترز» تدلل على وجهة نظرها عبر حالة التاجر يائيرجات من ناتانيا الذي يصف نفسه بأنه من الحمائم المحبطين من أليسار، الأمر الذي تسبب بتحوُّله إلى مؤيد لرئيس الوزراء الإسرائيلي آريئيل شارون. وعلى الرغم من ذلك فان جات ما زال على أفكاره نفسها «أريد منحهم (الفلسطينيين) دولة لكن الآن من منطلق قوة لأننا إذا أعطيناهم ما يطلبونه فسيظنون حينئذ أنه يمكن استخدام العنف كل مرة يريدون فيها شيئا».

جات، كما تختم «رويترز» تقريرها، واحد من اليساريين الذين يتحولون باطراد نحو الوسط واليمين في ظاهرة تشير إلى احتمال انهيار حزب العمل الذي يمثل يسار الوسط في الانتخابات العامة السنة المقبلة. تقول هيرمان: «نحن يساريين بلا يسار»، مشيرة إلى أن أليسار فقد معظم أنصاره، حيث إن نسبة اليساريين تراجعت من ٤٠٪ من الإسرائيليين قبل الانتفاضة إلى ٢٠٪ الآن.

الصحافة الإسرائيلية: في بداية عملية السور الواقي بدت الصحافة الإسرائيلية مع استفتاءات قليلة وكأنها مجنّدة خلف عملية السور الواقي. وشيئا فشيئا بدأت الصحافة الإسرائيلية في طرح الأسئلة والاستفسارات

عن السور الواقي وجدوى هذه الحملة في ضوء نقطتين أساسيتين:

أولاً: عودة العمليات الاستشهادية إلى وتيرة مقاربة لتلك التي شهدتها إسرائيل قبل السور الواقي.

ثانياً: غياب أي تحرك سياسي جدي أو مبادرة سياسية جدية من حكومة شارون باستثناء فكرة المؤتمر الإقليمي التي سنعرض إليها فيما بعد. ولم تطرح أصلاً إلا لاستهلاك الوقت وقتل أي مبادرة سلام أو خطة تحرك فعلية.

الآراء والتحليلات النقدية لعملية السور الواقي:

توالت في الفترة الأخيرة التعليقات والآراء والتحليلات التي تقدم مقارنة أو قراءة لحملة عملية السور الواقي سنختار الأهم والأعم والأشمل منها.

بتاريخ (٢٠/٥/٢٠٠٢) نقلت صحيفة «**معاريف**» عن مصادر أمنية قولها أن تأثير عملية السور الواقي بدأ بالتراجع. وخلال وقت قصير سيعاد بناء البنية العسكرية للمنظمات الإرهابية في المناطق. وتضيف «**معاريف**» أن هذا الكلام قيل على ضوء ارتفاع عدد الإنذارات حول شن هجمات داخل الخط الأخضر، وحسب تلك المصادر فقد برز إرتفاع في حجم الإعداد لشن هجمات من قبل المنظمات الفلسطينية في المناطق وإعادة بناء مشاغل العبوات. فأجهزة تجنيد الانتحاريين (الاستشهاديين) والعملاء عادت للعمل وتقوم بجمع معلومات استخبارية استعدادا لشن هجمات.

وفي اليوم نفسه (٢٠/٥/٢٠٠٢) كتب المحلل العسكري في صحيفة «**يديعوت أحرونوت**» اليكس فيشمان تعليقا على العملية الاستشهادية التي جرت في نتانيا (١٩/٥/٢٠٠٢) والتي تبنتها الجبهة الشعبية وأسفرت عن مقتل ثلاثة أشخاص وجرح حوالي ٦٠ آخرين، إن تلك «العملية تبين أنه بمضي الوقت يتواصل ذوبان الإنجازات العسكرية لعملية السور الواقي،

علماً أن الفراغ السياسي الذي أعقبها يشكل تربة خصبة وطبيعية للبنى التحتية الإرهابية التي تعمل على ترميم نفسها رغم الضغوط التي يمارسها الشاباك والجيش الإسرائيلي».

كما أن عملية نتانيا، مثل عملية ريشون ليتسيون قبلها بعشرة أيام تشكل تذكيراً مؤلماً بأنه لا يمكن الاستمرار في انتظار عملية عسكرية مهما كانت ناجحة والتعطر بالأوهام التي ينثرها الجيش حول إمكانية إجتثاث «الإرهاب» بالطرق العسكرية. لكنه لا يمكن أيضا - يستدرك فيشمان - قطف الثمار الفعلية إذا لم تكن للعملية العسكرية تتمة سياسية وإذا لم يشأ الجانب الفلسطيني المشاركة في هذه الخطوة، فيجب بدء تنفيذ الخطوات من جانب واحد، أي الفصل.

وعن تقييمه للفترة التي تلت عملية السور الواقي من نهاية نيسان/ أبريل حتى نهاية أيار/ مايو، يرى فيشمان أنه طيلة الأسابيع الثلاثة الأخيرة وعلى خلفية الانخفاض الجوهري في حجم العمليات داخل الخط الأخضر، تولّد نوع من الشعور بالهدوء النسبي وبدت الحياة كأنها تعود إلى مسارها الطبيعي. وهذا الوهم اللطيف، برأي فيشمان، تمت تغذيته بالسموم المسكرة والكاذبة التي تم قذفها في الفضاء، كالحديث عن الإصلاحات في السلطة الفلسطينية وإجراء إنتخابات ديمقراطية في السلطة كما لو أن شيئا حقيقيا بدأ يتحرك هناك. وعملياً، يختم فيشمان، «فانهم في الجانب الإسرائيلي بدأوا بتعبئة الأجواء بفقاقيع ضخمة من المخططات السياسية، خطة سرية لرئيس الحكومة، خطة جديدة لوزير الخارجية خطة ثورية، (عودة إلى خطة كلينتون) لوزير الدفاع وما شابه».

وبدا الأمر من الجانب الإسرائيلي وكأنه من اللطيف الإدمان على هذه السموم.

«**يديعوت أحرونوت**» عادت إلى الموضوع نفسه وكتبت تحت عنوان «انتعاش شبكة الإرهاب الفلسطيني»، (٢٣/ ٥/ ٢٠٠٢) أنه بعد مرور أربعة

أسابيع على نهاية حملة السور الواقي نجحت التنظيمات الفلسطينية في الأسبوع الخامس في إخراج أربع عمليات تفجيرية إلى حيز التنفيذ. وذلك خلال أربعة أيام وقعت اثنتان منها في نتانيا وريشون ليتسيون. وقد تحققت بذلك إلتنبؤات المتشائمة لوزير الدفاع بنيامين بن اليعزر الذي تنبأ بقدرة منظمات الإرهاب على إعادة بناها التحتية خلال شهر واحد، وتؤكد عملية إعتقال ٢٥ فلسطينياً استشهادياً منذ نهاية حملة السور الواقي، وخطط العمليات الهائلة التي تم الكشف عنها أمام لجنة الخارجية والأمن في الكنيست أن الإرهاب الفلسطيني تمكن من إستعادة قدراته التنفيذية.

ورغم أن الجيش الإسرائيلي والشاباك قاما خلال حملة السور الواقي بهدم بنية تنظيمات المقاومة، إلا أن «**يديعوت أحرونوت**» تنقل سخرية لاذعة بحق «السور الواقي» صادرة عن أحد كبار مسؤولي الأمن من أن قاعدة الإرهاب في المناطق الفلسطينية تضم كل الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٧ عاماً حتى ٥٠ عاماً وقد اعتقلنا منهم ٠,٥٪ «نصف بالمائة» فقط.

المحلل الاستراتيجي في صحيفة «**هآرتس**» زئيف شيف تناول الموضوع في تحليل بعنوان «عودة متدرجة إلى الوضع الأمني الذي سبق السور الواقي» («**هآرتس**» ٢٣/٥/٢٠٠٢). في هذا التحليل يرى شيف «أن مؤشر الهجمات «الاستشهادية» في إسرائيل من جانب والعمليات العسكرية الواسعة للجيش الإسرائيلي في المدن والبلدات الفلسطينية في الضفة الغربية ضد المنظمات التي تستخدم «الإرهاب» من جانب آخر ،يعيد ببطء الوضع إلى ما كان عليه قبل عملية السور الواقي. هذا الروتين الذي يشمل أيضاً إحباطات موضوعية لنشطاء مركزيين في المنظمات الإرهابية إلى أن تأتي بالتأكيد مرحلة يعمل فيها الجيش بنطاق واسع ضد السلطة الفلسطينية».

شيف يعتقد أيضاً «أن السلسلة الأخيرة من العمليات الإرهابية من قبل الانتحاريين تشير أيضاً إلى أن ضغط السعودية ومصر على عرفات وحماس

لوقف، ولو لفترة زمنية محدودة، نشاطاتهم لم تعط نتائج كما تشير إلى أن جميع تعهدات عرفات إلى الرياض لا قيمة لها».

وعند قراءته للواقع الحالي يستنتج شيف أن عملية السور الواقي لم تضع حداً للعمليات الإرهابية من قبل الانتحاريين، كذلك لم يكن يتوقع أن يحصل ذلك أيضاً في أعقاب العملية، حيث إن الفرضية كانت أن العملية ستثقل على كاهل منظمي الإرهاب، وتهدم بنية الإرهاب، لكن لن توقف بشكل مطلق موجة الهجمات.

ويضيف شيف أننا إذا «حكمنا على عدد الإنذارات التي تصل بشكل يومي حول الانتحاريين المحتملين الذين ينوون الدخول إلى المدن الإسرائيلية من الممكن أن نستنتج أنه لا يوجد للمنظمات الإرهابية أي نقص في هؤلاء الأشخاص الانتحاريين، كذلك أيضاً فإن قدرتهم على التسلل إلى المناطق الإسرائيلية المأهولة ليست بقليلة، بسبب الفجوات الكثيرة الموجودة في خط الفصل على ضوء الإهمال الكبير في إغلاق الخط الذي تقوم به إسرائيل» وعن تصوراته ورؤيته للفترة المقبلة يرى شيف «أن العمليات الإسرائيلية الكبيرة نسبيا ضد المدن والمخيمات الفلسطينية ستستمر بشكل شبه يومي، وهذا سيكون خط العمل حتى تحدث ما يصفها بـ «عملية إرهابية كبيرة» في إسرائيل» حينها من المؤكد بنظر شيف «أن الجيش الإسرائيلي سيعمل مرة أخرى بشكل واسع يشمل الدخول من جديد إلى مخيمات اللاجئين والبلدات الفلسطينية».

المحلل العسكري لصحيفة «**يديعوت أحرونوت**» أليكس فيشمان تناول الموضوع مرة أخرى فكتب تحت عنوان «عدنا إلى روتين العمليات» (٢٣/٥/٢٠٠٢)، «إننا هكذا وبسرعة بالغة ولكن متوقعة تماماً عدنا إلى وتيرة عمليتين انتحاريتين في الأسبوع داخل الخط الأخضر، ورغم أننا إلى الآن لم نصل إلى سبيل العمليات الانتحارية التي وقعت في آذار الماضي وكما

أن قوة المواد الناسفة ونوعيتها لم تصل بعد إلى مستواها عشية السور الواقي، ولكننا تدريجيا نعود إلى روتين العمليات التي بطبيعة الأمور ستصبح أشد قوة وأكثر دقة حيث سيعتقل الشاباك ويحقق ويحبط والجيش سيعمل ليلا نهارا وسيصل إلى المشاغل والأشخاص والعمليات ستتواصل وسندخل ثانية لدوامة البينغ بونغ: إسرائيل حسب المعلومات الاستخبارية التي جمعت ستضرب المدن والقرى الفلسطينية، والفلسطينيون بقدر استطاعتهم سيفجرون أنفسهم في المراكز السكانية داخل إسرائيل، وهذا وضع حسب رأيه لا تستطيع الأخيرة العيش فيه لوقت طويل».

ولكن لماذا هذه الدوامة، وما سبب الوصول إليها؟ يجيب المعلق العسكري لـ«**يديعوت أحرونوت**»: ثمة حقيقة أنه منذ أن انتهت عملية السور الواقي لم يتم خلق أية مسيرة سياسية كافية لأن تضعف شيئاً ما من حافزية الإرهاب الفلسطيني في إرسال القنابل البشرية حيث لم يتم إغراء السلطة الفلسطينية كي تعمل شيئا ما من أجل تقليل حجم الإرهاب. فالأمر الوحيد الذي تنفذه إسرائيل اليوم هو في المجال العسكري الهجومي، عمليات تضعف قوة المنظمات الإرهابية ولكن العمليات بدون إرفاقها بعملية سياسية هي دعوة لاستمرار لعبة البينغ بونغ الدامية.

آخر رأي نقدمه من آراء المحللين الإسرائيليين في عملية السور الواقي هو للمحلل السياسي في صحيفة «**هآرتس**» يوئيل ماركوس الذي كتب بعنوان «الإنجازات المشكوك فيها للسور الواقي» («**هآرتس**» ٢٨/٥/٢٠٠٢) ملخصاً ما وصفه بإنجازات عملية السور الواقي على النحو التالي:

أولاً: بعد شهر على خروج القوات يتضح أن البنية التحتية للإرهاب لم تتقلص، وعلى الرغم من الدمار الكبير لم يخرج رؤساء السلطة فقط، بل أيضاً معظم قيادات أذرع الإرهاب خرجوا سالمين ومعافين ما عدا مروان البرغوثي الذي يظهر من ناحية شارون، صعب الهضم وصعب اللفظ كما أن

الهجمات الاستشهادية ومحاولات الهجمات تجددت. أكثر من ذلك برز اتجاه لعمليات جماهيرية مثل تفجير خزانات الغاز بواسطة الأسطوانات، الأمر الذي كان يمكن أن يسبب عنصراً حرارياً يؤدي إلى موت مئات وربما آلاف البشر بين هرتسيليا وتلباروخ خلال ٧٥ إلى ٢٤٠ ثانية.

بالتأكيد كانت هنالك متابعة استخبارات وتخطيط وتطبيق. شخص ما أراد أن يفعل برجين بمربع، إن حافز الفلسطينيين للانتقام زاد في النهاية كنتيجة لعملية السور الواقي، وزادت حذاقتهم وجرأتهم، واستراتيجية الإرهاب مستمرة، ومن الأكثر دقة أن نقول استراتيجية القتل الجماهيري.

ثانياً: بعد شهر على السور الواقي وبعد الدرس الذي لقناهم إياه: «حصار عرفات» والجهد لاستبدال القيادة، فإن رئيس السلطة لم يبعد والقيادة لم تتبدل. صحيح أن الفلسطينيين بدأو، بإجراء حساب داخلي، والتساؤل، إلى أين يقودهم طريق عرفات، لكن لم يبذل عندنا أي جهد لاستغلال الارتباك بواسطة مبادرة سياسية وضغوطات لبناء الثقة. ولقد صدق بنيامين بن اليعزر عندما حذر سلفاً وعلناً من أنه إذ لم تحدث عملية سياسية خلال بضعة أسابيع فسيعود الوضع إلى سابق عهده. ومؤسف عندما يكتفي رئيس حزب العمل بنبوءة بدلاً من أن يلح على شارون ويجبره على القيام بالعمل نفسه لا قيمة للانتصار العسكري دون نتائج سياسية.

ثالثا: بعد شهر على إخلائنا للقوات لم نسمع، ليس فقط كلمة تشجيع من العالم لحربنا ضد الإرهاب وعن حقنا في الدفاع عن أنفسنا، بل تحولنا هدفاً للتجريم وأشعلنا موجات لا سامية وحررنا شياطين منسية في قلوب اليهود في الشتات. عرفات يستخدم إرهابا، ولي العهد السعودي ثارت ثائرته لكي ينقذه من عزلته ويسوّقه كمحاور لدى الأميركيين ولكننا مرة أخرى، «الرقم ١» على لائحة الكره الدولية.

كانت عملية السور الواقي حتمية. هكذا يرى ماركوس، حتمية بسبب

الغضب الجماهيري لكنها حيوية في الأساس للتوضيح أن انسحاباً وحيد الجانب بصيغة لبنان لن يتكرر، لكن العملية لم تحقق أهدافها في الأساس. فنحن، يضيف الكاتب، لسنا بحاجة إلى أن نقرأ في «نيويرك تايمز» أن الإسرائيليين عصبيين ويخشون هجمات استشهادية أخرى لكي نعرف أين نقف وماذا يفعل الإرهاب بالانتصار والشعور الشخصي لكل مواطن. وعلى ذلك يصل ماركوس للاستنتاج: بواسطة تسوية سياسية فقط وليس بالقوة يمكن أن نصل إلى وقف الإرهاب. إن العودة إلى السيناريوهات نفسها، ندخل نخرج - نعتقل - نصفّي - نخرج لن توقف الإرهاب.

الآفاق السياسية:

عند الحديث عن الوضع الحالي والآفاق السياسية بعد عملية السور الواقي سنعرض بالطبع لسياسات شارون ورؤاه وخططه. لقد كان يمتلك فعلاً خطة سياسية واضحة المعالم تتجاوز قمع الانتفاضة بالقوة، والقوة العسكرية فقط، ومن ثم فرض حالة من الاستسلام على الشعب الفلسطيني. كل ذلك يستدعي بالضرورة إلقاء نظرة على وضع حالة حزب العمل المفترض أنه الشريك الرئيسي في حكومة شارون والذي يتولى اثنان من قادته وزارتي الدفاع رئيس الحزب «بنيامين بن اليعزر» والخارجية «شيمون بيريز». وحسب ما اتضح من خلال الاجتماع الأخير للجنة المركزية لحزب العمل الذي التأم من الخامس عشر من شهر أيار / مايو الماضي، فإن كل قيادي من حزب العمل يمتلك خطة سياسية خاصة به. فرئيس الحزب بنيامين بن اليعزر يتحدث عن مزيج من الفصل من جانب واحد والاستمرار في عمليات قمع الانتفاضة، إضافة إلى طرح أفق سياسي يتمثل في الدمج بين خطة كلينتون ومبادرة الأمير عبد الله التي أقرتها القمة العربية، على أن يتم التفاوض على ذلك مع السلطة الفلسطينية خلال وبعد أن تقوم بالإصلاحات المطلوبة منها إسرائيلياً وأميركياً.

أحد قادة الحزب المنافس على الزعامة حاييم رامون يطرح فكرة الانفصال من جانب واحد عن الفلسطينيين مع تفكيك بعض المستوطنات المعزولة وتجميع المستوطنين في كتل استيطانية كبيرة يمكن الدفاع عنها، يقول رامون أنه ليس من شريك فلسطيني جاهز الآن للمفاوضات، وعلى ذلك فان هذه مؤجلة حتى يتم تصور ذلك الشريك، وعندها يتم التفاوض على كل القضايا المطروحة ـ القدس ـ الحدود اللاجئين.

أما شيمون بيريز فيطرح من ناحيته خطة أخرى تتحدث عن دولة فلسطينية على ٤٢٪ من أراضي الضفة الغربية وغزة مع إطلاق مفاوضات حول الوضع النهائي بين هذه الدولة وإسرائيل حيث تم الاتفاق على قضايا الوضع النهائي وتنفيذ ذلك الاتفاق في مدى زمني ما بين عامين إلى ثلاثة أعوام. وأضاف بيريز أخيراً على خطته فكرة الإصلاحات في السلطة الفلسطينية وإجراء المفاوضات برعاية الإطار الرباعي والمتمثل في الولايات المتحدة وروسيا والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي.

ضعف حزب العمل لا ينحصر فقط في هذا التشظّي السياسي بل يتعداه ليصل إلى الوضع التنظيمي حيث يفقد الحزب باضطراد شعبيته وجماهيره. حتى أن استطلاعات الرأي الأخيرة ترجح فقدانه لربع قوته الانتخابية في حال إجراء الانتخابات. فهو يملك الآن ٢٤ مقعداً وضمن كتلة إسرائيل واحدة: وتعطيه الاستطلاعات ١٨ مقعداً فقط في الانتخابات الجديدة. والحقيقة أن حزب العمل يظهر في وضعه الحالي والبائس في حكومة شارون. فوجوده ضمن حكومة شارون يزيده ضعفاً على مستوى الشارع ويمنعه من اتخاذ وتبني أي خيار جدي بعيداً عن سياسات شارون. كما أن خروجه من الحكومة إلى المعارضة في ظل وضعه السياسي والتنظيمي الحالي لن يزيده إلا ضعفاً، علماً أن الكثير من وسائل الإعلام الإسرائيلية تتحدث عن مصالح شخصية وحزبية ضيقة تبقي حزب العمل ضمن حكومة شارون، أهمها رغبة بنيامين بن اليعزر في التنافس على زعامة الحزب في

تموز/ يوليو القادم من موقع وزير الدفاع العليم ببواطن الأمور، علماً أن هذه قد تكون ميزته الوحيدة أمام أعضاء وناخبي حزب العمل.

وضع حزب العمل على حقيقته يتبدّى واضحاً في مقال نشر في («**معاريف**» ٢٤/٤/٢٠٠٢) بقلم أبراهام تيروش تحت عنوان «باقون بدون العمل». وبعدما يسخر الكاتب من حزب العمل في وضعه الحالي ويشرح كيف أصبح الحزب مثاراً للسخرية والنكات يصل إلى القول أن النكتة الكبرى هي استمرار وجود الحزب في حكومة شارون الذي قام بحل المطبخ المصغر الذي كان للحزب أغلبية فيه ثم ضم إلى الحكومة حزب المفدال بزعامة آفي إيتام، وكذلك ديفيد ليفي الذي عاد ليكون يمينياً وأفيغدور ليبرمان الذي بدا مستعداً دوما للعودة. كما أعلن شارون أنه لن يخلي المستوطنات المنعزلة، ولن يجري في حكومته أي نقاش في هذا الموضوع ووعد شارون وزراء المفدال أيضا أن إسرائيل ستعود إلى قبر يوسف في نابلس.

وبالنسبة لموضوع الفصل يواصل تيروش أن لا مجال لحديث ولا يوجد في الأفق بنية للشروع في مفاوضات سياسية، فماذا ينبغي لشارون أن يفعل، يتساءل الكاتب في «**معاريف**»: «كيف يفهم وزراء العمل بأن ليس لديهم ما يبحثون عنه في هذه الحكومة علماً أنه يقول لهم في واقع الحال إذهبوا إلى بيوتكم، يلقي بهم من الباب فتجدهم يعودون من النافذة، يلقي بهم من النافذة فتجدهم يقتحمون نافذة أخرى صارخين حرب حرب لا يجوز لنا أن نكون في الخارج. أي حرب يتساءل تيروش مستغربا مرة أخرى. فقد أعلن شارون أن حملة السور الواقي قد انتهت.

وبعد ذلك يرى أبراهام تيروش أن الصورة قد أضحت واضحة أمام بن اليعزر وهي «أن حزب العمل يتعين عليه الانسحاب من الحكومة قبل الانتخابات القادمة، وأنه لكي لا يتحول إلى حزب صغير وعديم الأهمية، وبالتأكيد كي يخلق احتمالاً بإنجاز ما في الانتخابات، فإن عليه أن يعيد

تنظيم ذاته، وأن يحدد خطاً سياسياً واضحاً مناقضاً لخط الحكومة اليميني وإرادة معارضة كفاحية. وإلى جانب ذلك التعلل بالأمل بأن أجزاء واسعة من الجمهور سيعون ويدركون بأن محاربة الإرهاب أمر حيوي. ولكن في نهاية المطاف فإن الحوار وحده يمكن أن يؤدي إلى وضع حد للنزاع وليس حكومة يمينية تؤدي بالضرورة إلى طريق بلا نهاية من سفك الدماء المتواصل».

في ختام مقاله يشير تيروش إلى المشكلة الشخصية المتعلقة ببن اليعزر وزعامته، ويرى في هذا الصدد «أن ما ليس واضحا لفؤاد «بن اليعزر » ولا يريد أن يسلم به، فهو أن حزب العمل بحاجة إلى زعيم آخر كي يصل إلى إنجاز في الانتخابات، هذا الزعيم سينتخبه الحزب في الصيف القادم وما لدى فؤاد ليبيعه في الانتخابات الداخلية هو كونه وزيراً للدفاع، فهكذا إنتصر على إبراهام بورغ، أي أنه إذا أراد أن ينتصر مجدداً في حزبه فإن عليه أن يبقى في منصبه الرسمي حتى الصيف».

موقف شارون: عند الحديث عن مواقف شارون السياسية غالباً ما يتم تكرار عبارة أن شارون لا يملك خطة سياسية. ربما كان هذا الكلام جزئياً صحيح. فشارون لا يملك خطة سياسية متكاملة ولكنه يملك بالتأكيد موقفاً سياسياً وأيديولوجياً. إنه لا يريد ولا يحب أوسلو ولا يريد ولا يحب السلطة الفلسطينية ولكن ماذا بعد ذلك؟ هنا يمكن القول أن شارون يفتقد إلى خطة متكاملة واضحة المعالم، إن شارون يريد إحياء فكرة روابط القرى التي حاولت إسرائيل ترويجها في الضفة الغربية وغزة أوائل الثمانينات، إنه يريد حكماً ذاتياً فلسطينياً وروابط قرى جديدة، حتى لو تم الحكم الذاتي تحت مسمى دولة فلسطينية وموهت روابط القرى بلافتة الحكومة الفلسطينية، إنه لا يرى دولة (دويلة) فلسطينية خارج تصوراته لما يسميه المصالح الأمنية الحيوية لدولة إسرائيل، تلك المصالح التي يصر على تكرارها وترديدها أمام ضيوفه وزواره سواء في مزرعته أو مكتبه أو حتى في طائرة الهيلوكبتر محلقاً فوق الضفة الغربية وغزة شارحاً الأخطار التي تحيط بإسرائيل في

حال العودة إلى حدود العام ١٩٦٧ ومصرّاً بالقوة على عدم العودة إلى تلك الحدود بأي حال من الأحوال.

ولكن ما هي التكتيكات والأساليب التي اتبعها شارون منذ وصوله إلى السلطة في إسرائيل وحتى عملية السور الواقي وما بعدها وتلك الأساليب والتكتيكات تمثل حلقات في سلسلة مواقفه الأيديولوجية والسياسية التي من الصعوبة بمكان، بل ومن الاستحالة تغييرها في العقد الثامن من عمره.

بمجرد وصوله إلى السلطة، وحتى قبل وصوله إليها، آمن شارون بإمكانية هزيمة الانتفاضة بالقوة، وهي وحدها القادرة على حل المشاكل مع العرب وهي وحدها القادرة على إيجاد الحلول للمشاكل التي تعانيها إسرائيل. وهذا يفسر العدد الكبير من الضحايا في الجانبين بمجرد وصول شارون للسلطة.

شارون ظل طوال الوقت يعمل على تطويع السلطة الفلسطينية لصالح أهدافه ورؤاه، وحاول ممارسة كل الطرق ووسائل الضغط والابتزاز السياسية والأمنية والعسكرية والاقتصادية والنفسية. وبعد أحداث ١١ أيلول تحديداً حاول شارون ركوب موجة مكافحة الإرهاب وتصوير حربه على السلطة الفلسطينية والشعب الفلسطيني كجزء من حرب أمريكا والعالم ضد الإرهاب. ولهذا حاول تسويق مصطلح «بن لادن خاصتنا» أو «بن لادننا» أو طالبان خاصتنا في إشارة إلى السلطة الفلسطينية التي تقوم بحماية الإرهاب، وفي أحسن الأحوال عدم محاربته.

حاول شارون كذلك كسر إرادة الشعب الفلسطين والحد والخفض من سقف توقعاته السياسية، وذلك عبر عمليات القتل والتدمير والتشريد والحصار والإغلاق التي مارسها حتى ما قبل عملية السور الواقي.

بعد عملية نتانيا ليلة عيد الفصح اليهودي، قام شارون بعملية عدوان السور الواقي وبعدما مارس القتل حتى النهاية حاول استغلال ذلك العدوان

للحصول على مكاسب سياسية تساعد في تحقيق أهدافه السالفة الذكر. وهو نجح عمليا في تحطيم اتفاق أوسلو عبر تحطيم أهم بند من بنوده وذلك بالسيطرة الأمنية الاسرائيلية على كافة الأراضي الخاضعة للسلطة الفلسطينية والتي كانت مصنفة كمناطق (أ) حسب اتفاق أوسلو خاضعة أمنياً وإدارياً للسلطة الفلسطينية. وبذلك أصبحت معظم أراضي السلطة إن لم يكن كلها «مناطق ب» خاضعة أمنياً لإسرائيل وإدارياً ولو بصورة شكلية للسلطة الفلسطينية. وهذا الوضع في حال استمراره يكفل لشارون تحقيق هدف مهم هو السيطرة على المناطق الفلسطينية دون الاضطرار إلى إعادة الاحتلال بشكل مباشر، وفي المقابل دون الاضطرار إلى الجلوس لطاولة التفاوض مع السلطة الفلسطينية عبر طرح شروط تعجيزية تجعل من المستحيل على أي طرف آخر القبول بهذه الشروط، ومن ثم الدخول في مفاوضات مع شارون وحكومته.

بدأت سياسة طرح الشروط مباشرة بمجرد وصول شارون للسلطة عبر طرح شرط عدم التفاوض تحت النيران، بمعنى ضرورة انتهاء الانتفاضة قبل الدخول في أي مفاوضات مع الطرف الفلسطيني دون التوضيح لآفاق هذه المفاوضات وشروطها الموضوعية ومرجعيتها السياسية.

بعد عملية السور الواقي ومن أجل التهرب من التفاوض طرح شارون سلسلة شروط تعجيزية أخرى.

أولاً: ضرورة إجراء الإصلاحات في صفوف السلطة الفلسطينية. وهذه الإصلاحات تعني في نظر شارون شيئاً واحداً هو: إستبعاد رئيس السلطة، جلب قيادة بديلة تقبل بالشروط الإسرائيلية.

ثانياً: وقف تام لكل عمليات المقاومة الفلسطينية كمدخل ونتيجة أيضاً لعملية الإصلاح السالفة الذكر.

ثالثاً: طرح فكرة المؤتمر الإقليمي أو الدولي بدون مشاركة رئيس السلطة وسوريا ولبنان والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة. والفكرة نفسها تأتي في سياق إعطاء شارون الفرصة لهضم ما يتصوره إنجازات لعملية السور الواقي ميدانياً وسياسياً وتقديم الانطباع أن شارون يقدم أفقاً سياسياً للفلسطينيين والعرب، علماً أن الفكرة نفسها تهدف أيضاً إلى إلهاء هولاء ومعهم بعض القوى الدولية في جدل حول من يحضر المؤتمر ومن لا يحضر ومتى وأين يعقد المؤتمر وما هو جدول أعماله ووفق أي مرجعية سيتم تحديد جدول الأعمال هذا.

الآن سنستعين ببعض تصريحات ومواقف لشارون وآراء لبعض المعلقين السياسيين تؤكد وتدلل على معظم الأفكار الواردة أعلاه.

في حواره مع التلفزيون الإسرائيلي مساء السادس عشر من نيسان/ أبريل ٢٠٠٢ قال شارون بالحرف: مع عرفات لا يمكن.. لا يمكن... أنا أعتقد أنكم سمعتم بالتأكيد أقوال رئيس إندونيسيا السابق وهي أكبر دولة إسلامية في العالم ما ذكره أن عرفات قال له في محادثة بينهما أنه لدينا الوقت، وفي نهاية الأمر سنرمي اليهود في البحر، مع عرفات لا يمكن التوصل إلى أي حل. عند الحديث عن المؤتمر الإقليمي قال شارون في محاولة لدق إسفين بين العرب أنفسهم: أنا اقترحت مؤتمراً إقليمياً ويوجد هنا تكتلان: تكتل حرب ويضم إيران والعراق وسوريا، وتكتل أستطيع أن أسميه تكتل سلام ويضم إسرائيل ومصر والأردن والسعودية وربما المغرب.

وهل يأتون بدون الفلسطينيين؟ يجيب شارون. هذا المؤتمر يجب أن يتناول مواضيع موسعة وبالتأكيد اتفاقات سلام أو العودة إلى السلام، كما يجب أن يتناول مواضيع مثل التطوير وتحلية مياه البحر والتطوير الزراعي والصناعي والتعليم. وفي موقع آخر من المقابلة يتحدث شارون عن رؤيته

للحل «المشكلة هي في أن نجلس سوياً ونتحدث مع الدول العربية لنحاول التوصل إلى حل ما إقليمي، من أجل حل مشاكل حاسمة، وبالتأكيد من بينها هذا الموضوع (مشاركة عرفات). وبالنسبة لجوهر المؤتمر أنا طرحت خطة فيها هدوء. ومعنى الهدوء إن خطتي تسير بخطوات متدرجة فلا يمكن الذهاب بعد مائة عام من النضال ضد الفلسطينيين إلى حل القضية دفعة واحدة والتوصل إلى تسوية.

بعد ذلك يعود شارون للحديث عن خطتي تينيت وميتشل فيقول: «نحن نريد أن نعمل في إطارهما، فإذا ما كنت تريد وقفاً لإطلاق النار يجب أن تتعامل مع تينيت، خطة تينيت هذه وكما تمت صياغتها، الأمريكيون اليوم يعرفون موقف إسرائيل فيما يتعلق بما يسمى خطة زيني، نعم نحن أعطينا موقفنا كما أننا لن نتنازل عن هذا الأمر، هذا هو موقفنا وهذا يدفعك بهذا التصور وحسب ما أعتقد إلى تقديم خطة أوسع للشرق الأوسط.

ومن هنا إلى أي خطة أنت ذاهب؟ يسأل المذيع.

يجيب شارون أولاً، يجيب قائلاً: إن خطة ميتشل تقول بتنفيذ كل ما تم الاتفاق عليه حتى الآن، صدقوني إن المشكلة صعبة لنا وأيضاً صعبة على الفلسطينيين، فهذا الأمر يجب أن يتم التعامل معه على مراحل وما آمل أن يتحقق في نهاية الأمر هو السلم مع الأمن. بإذن الله سنضع حداً للصراع، فمشكلتنا هي أن العالم العربي وحتى الدول التي وقعنا معها اتفاقيات لا يعترفون بحق اليهود في أن يكون لهم وطن، وفي إقامة دولة لهم في وطنهم.

مواقف شارون تتضح أيضاً من خلال السجال أو الجدل الذي دار أثناء الاجتماع الأخير لمركز الليكود في الثاني عشر من أيار/ مايو الماضي، صحيفة «**يديعوت أحرونوت**» استعرضت بتاريخ ١٣/ ٥ أهم ما جاء في خطابي نتنياهو وشارون على النحو التالي:

حول الدولة الفلسطينية:

نتنياهو: الدولة الفلسطينية هي أكبر خطأ يمكننا إرتكابه. إنها جائزة كبيرة للإرهاب الفلسطيني. إذا وافقنا على مثل هذه الدولة فإننا سنقيد الجيش بأيدينا بسلسلة من حديد.

شارون: ليس هذا هو الوقت لنقاشات غير مناسبة، نحن منشغلون في مكافحة البنى الإرهابية والسلطة الفلسطينية، هذا الموضوع غير قائم على جدول الأعمال.

حول عرفات:

نتنياهو : كان هناك الكثير ممن آمنوا بأن عرفات تخلّى عن الإرهاب ولكن يجب أن نفهم شيئاً واحداً: ينبغي علينا أن نطرده.

شارون: للأسف رئيس حكومتنا (يقصد نتنياهو) دعاه صديقي وزميلي ولكني أنا لم أصافحه.

حول المؤتمر الدولي:

نتنياهو: فخ، من سيكون هناك، السعوديون الذين يدربون الانتحاريين، الأوروبيون الذين يؤيدون عرفات.

شارون: كان هناك مثل هذا المؤتمر في مدريد ترأسه شامير ونائب وزير الخارجية سابقاً: «نتنياهو».

حول الإصلاحات في السلطة:

نتنياهو: هذا وهم، سيدخلون السلاح والجنود بدون قيود، سيبرمون تحالفات مع سوريا ـ العراق ـ ليبيا.

شارون: ثمة من يقدم نصائح وثمة من ينفذ، لن نهزم الإرهاب بالخطابات والكتب والمحاضرات.

حول أعضاء المركز:

أُجلسوا بهدوء، أفسحوا المجال للكلام، يجب علينا أن نبحث في مصيرنا ويجب أن لا ننشغل في حرب ميكروفونات.

شارون: نحن نتذكر كيف وقع الليكود مرتين ضحية حروب داخلية قوضت وحدته.

الواضح الجلي مما سبق أن شارون يطرح مواقف أكثر تطرفا وجذرية من نتنياهو وطوال الوقت يتهم نتنياهو بتقديم التنازلات بينما يصر هو على الحفاظ على ثوابت الليكود ومصلحة إسرائيل.

غير أن التعليق الأهم على ما جرى في مركز الليكود جاء على لسان كل من يوسي سريد، يوسي بيلين، أبراهام بورغ، تلك التعليقات تشرح أيضاً حقيقة مواقف شارون ونتنياهو وحقيقة مواقف الليكود عموما تجاه السلطة الفلسطينية وعملية التسوية.

يوسي سريد: إن مشكلة الدولة هي أن الليكود وهو حزب السلطة فيها ومن السهل تصور ماذا يفكر فينا العالم حين يرون هذا السيرك الذي سيحسم مصير الدولة والمنطقة والعالم.

يوسي بيلين: إن المواجهة بين شارون ونتنياهو كانت صداماً بين شخصيتين تشكّلان خطراً على إسرائيل، ونتنياهو يجند الكارثة من أجل الدولة الفلسطينية فيما يقترح شارون تسوية مرحلية وإلى الأبد وكلاهما يضعان حدوداً على فرصة دولة يهودية وديمقراطية تقام هنا بدون علامة استفهام بينها وبين دولة فلسطينية منزوعة السلاح.

أبراهام بورغ: شارون خرج قوياً من جلسة مركز الليكود باعتبار أنه دفع إلى وسط الخارطة السياسية بدون أن يغير موقفه، علما أن لا فارق عملياً بين شارون ونتنياهو.

حقيقة مواقف شارون السياسية تناولها أيضاً وبشكل رائع بن كسفيت مراسل صحيفة «**معاريف**» للشؤون الحزبية ١١/ ٥ / ٢٠٠٢. ففي مقال بعنوان: «شارون يقول: خطتي هي خطة بيريس / أبو العلاء» وفي بداية المقال يشير الكاتب إلى أن شارون عندما سئل من قبل داليا رابين فيلوسوف نائبة وزير الدفاع عن خطته السياسية كان جوابه مفاجئا، خطة بيريس / أبو العلاء هي خطتي، الاتفاق بين بيريس / أبو العلا - يعلق بن كسفيت - لم يتم بعلمه فقط وإنما بتعليمات وموافقة كاملة منه، قبل ذلك بأشهر قال أموراً مماثلة لخافيير سولانا. كما أن بيريس يقول أموراً مماثلة دائماً لكل من يتحدث معه، إلا أن أحداً لم يعد يصغي إليه تماما.

بعد ذلك ينقل مراسل «**معاريف**» للشؤون الحزبية صورة أخرى عن مواقف شارون ورؤاه السياسية فيقول: قبل ذلك بأسابيع وصل إلى مزرعة شارون مارتن أنديك لحضور غداء خاص مع شارون وكان في البيت نجل شارون جلعاد فقط. أنديك سمع من شارون محاضرة مختلفة تماماً، بما في ذلك البرهنة على الأهمية التاريخية لكفاردروم ونتساريم وأمن إسرائيل إلى أبد الآبدين (ربما لم يسمح شارون لنفسه بالحديث عن خطة بيريس / أبو العلاء بسبب وجود جلعاد الأكثر تطرفاً منه).

بين هذا وذاك، يضيف بن كسفيت، أقسم شارون في محادثاته الخاصة مع المقربين بأن يطرد عرفات من هنا إلى الجحيم، وفي أقرب فرصة، وبعد ذلك أعطى وعده لبوش مرة أخرى بأن لا يمس عرفات وأنه لا ينوي طرده من المناطق. قبل ذلك كان شارون قد أجرى مباحثات مع محمد رشيد وتحدث فيها حول خطوة عسكرية واسعة وتسوية سياسية تتلوها، قبل ذلك بليلة وفي موازاته جلس مع آفي ايتام في ساعات متأخرة من الليل ومع أفيغدور ليبرمان (من يسبق الآخر منهما) وقال أموراً معاكسة لما قاله لمحمد رشيد.

عدا ذلك، يستطرد بن كسفيت، نجد أن رئيس الحكومة يبحث عن قنوات

توصله بالسعوديين فهو يهتم بالمبادرة السعودية في السر إلا أنه يتحفظ منها علنياً ويقوم بتوجيه الشتائم لها في البيت.

ما هي إذن خطته السياسية المفصلة؟ يتساءل الكاتب في «معاريف»، علماً أن الإجابة تعتمد على موعد طرح السؤال على من يطرحه ويعتمد على الساحة التي يطرح فيها خلال النهار ولمن يفترض أن تتسرب من الجمهور، وما هي الحالة المزاجية السائدة. ففي داخل شارون تتحرك عدة شارونات صغار، واحد في بطنه وآخر في رأسه وواحد فيما بينهما أما خطته الحقيقية القصيرة هي الحفاظ على بقائه في منصبه الذي يستمتع به جداً والأمل في حدوث أعجوبة تخفي بنيامين نتنياهو عن الأنظار من قبل أن يقوم هذا الأخير عما قريب بإخفائه هو بعد ذلك في ولايته الثانية والأخيرة سيكون من الممكن أخيراً بلورة خطة مفصلة وحقيقية.

محلل «**معاريف**» للشؤون الحزبية يختم تعليقه بالإشارة إلى أن شارون لا يختلف في سلوكه هذا عن أغلبية من سبقوه، هكذا هي الحال في إسرائيل، لا إمكانية للسيطرة ولا إمكانية للمناورة ولا إمكانية للتخطيط. فترة الولاية هي في العادة رحلة حفاظ على البقاء إلا أنها قصيرة ومهلكة ونهايتها معروفة سلفاً.

سياسة شارون في التسويف والمماطلة والمراوغة وإستخدام كل الوسائل لتجنب المفاوضات الحقيقية ونقاش القضايا الجوهرية تبدّت أيضاً خلال محادثاته مع كل من مساعد وزير الخارجية الأمريكي وليم بيرنز والمستشار السياسي للرئيس المصري أسامة الباز، كلاً على حدة، سياسة شارون تمحورت حول أن الخطوة الأولى التي يجب أن تنفذ بالكامل هي الإصلاحات في السلطة الفلسطينية التي تضع حداً لما أسماه نظام ياسر عرفات الدكتاتوري وتحد من صلاحياته ونقل هذه الصلاحيات إلى رئيس حكومة. وفقط بعد ذلك تبدأ المفاوضات وليس قبل أن يتوقف الإرهاب تماما.

رئاسة الوزراء الإسرائيلية، وفي بيان رسمي بعد اللقاءين قالت: أنه لن يكون هناك تقدم في المفاوضات من دون وقف الإرهاب والعنف والتحريض على العنف ومن دون إدخال إصلاحات على السلطة الفلسطينية.

هذا على المستوى السياسي، أما على المستوى الميداني، فان هناك سياسة أو استراتيجية أخرى تساند وتعاضد السياسة الأولى، أي قتل الوقت وإبقاء الوضع على ما هو عليه. هذه السياسة الميدانية تسميها الصحافة الإسرائيلية: الحرب الهادئة (الباب الدوار)، ومعناها: العمل بلا ضجيج، أي بلا انتقادات عالمية. فإسرائيل من جهتها لا تعلن غالباً عن دخول بلدة أو قرية أو مخيم وعندما تدخل لا تبقى لفترة طويلة وخلال عملياتها يمكن أن تقتل وتعتقل وتهدم البيوت وتخربها. وبرأى بنيامين بن اليعزر فان هذه العمليات تحقق أكبر المكاسب للجيش الإسرائيلي من دون أن يحتاج إلى عقد المؤتمرات الصحافية في كل يوم ليفسر السياسة الإسرائيلية أمام العالم.

أما رئيس أركان جيش الإحتلال الجنرال شاؤول موفاز فقال موافقاً على الحرب الهادئة: ليس في مصلحتنا أن نخرج لعملية واسعة الآن، لكن إذا استمرت العمليات الفلسطينية لن يكون أمامنا مفر من الخروج إلى عملية كهذه وتكون أكبر وأضخم وأكثر شجاعة من سابقتها.

هذه المناورة الإسرائيلية المتمثلة في التسويف السياسي والحرب الهادئة ميدانياً هي سبب هذه العجقة، من الزيارات والاتصالات الدبلوماسية في المنطقة سواء أكانت هذه الجهود والاتصالات عربية أو أوروبية أو أميركية. وتهدف هذه الجهود إلى محاولة إيقاف عمليات المقاومة الفلسطينية، ولو الاستشهادية منها، تمهيداً لشكل ما من أشكال المفاوضات، أو حتى للإعداد لمؤتمر إقليمي أو دولي يبدو حتى الآن في مهب الريح، إلا أن كل ذلك مرشح للانهيار في ظل تعنت شارون وإصراره على قتل الوقت وقتل كل المبادرات السياسية، وفي ظل إصرار بعض حركات المقاومة الفلسطينية على

الاستمرار في العمليات الجهادية وبالتحديد الاستشهادية منها، وتبدو المنطقة وكأنها في سباق بين سياسة أو لا سياسة شارون وتوجه المقاومة الفلسطينية نحو الاستشهاد. والاتصالات الدبلوماسية الإقليمية والدولية نحو ترتيب ما ينزع فتيل الانفجار الذي يراه كثيرون قادم لا محالة.

- من المهم في نظر شارون أن تكون هناك إدارة صحيحة للأزمة وليس حلاً عاجلاً لها.

- لا لإزالة المستوطنات أياً كانت حتى أكثرها عزلة، وإذا كان بنيامين بن اليعزر يرغب بإزالة بعض النقاط الإستيطانية سلفاً حتى يتم إخلاؤها ليكون بإمكانهم الإحتفاظ بالنقاط الإستيطانية الهامة الأخرى.

- فصل هام من خطة شارون حسبما يقول شيف - كشف عندما أجرت الحكومة نقاشاً حول الجدار الأمني، شارون لا يتحدث عن جدار وإنما عن مناطق أمنية يمكن الإستدلال منها حول رؤيته لتقسيم الأرض، شارون يخطط للإحتفاظ بمنطقتين أمنيتين في كل غور شرق الأردن وفي الغرب كل منطقة التماس، حيث يرسم الخط توغلاً كبيراً في الشرق نحو الخط الأخضر بمساعدة غلاف القدس سيتم عزل القدس عن الفلسطينيين في الضفة بدرجة كبيرة وفي قلب المنطقة في الوسط ستكون المستوطنات، قطاع غزة من دون غوش قطيف سيتصل مع الضفة بعلاقة ضعيفة، هذا إذا كانت هناك علاقة.

هذا السيناريو بخطوطه العريضة والرئيسية طرحه شارون أمام مؤتمر قيسارية الإقتصادي للدفاع عن نفسه في وجه من يتهمونه بالافتقاد إلى الخطة السياسية. غير أنه وفي المقابل لن يقبل أي طرف فلسطيني أن يمارس دور جيش لبنان الجنوبي تحت مسمى دولة تكون خاضعة تماماً للمشيئة الأميركية - الإسرائيلية.

أمام هذا الواقع وأمام إيمان السلطة الفلسطينية وإقتناعها أن المطلوب منها الإنسجام تماماً أمام رغبات شارون لا يبدو من خيار سوى خيار

المقاومة الذي يبدو وحده القادر على تغيير المعطيات الراهنة، ويبدو ان النتائج على صعيد إثارة الجدل في الشارع الإسرائيلي وربما الوصول إلى تغيير الحكومة الإسرائيلية بحكومة أخرى قد يقابله تغير شكلي في السلطة الفلسطينية بالتفاوض حول صيغة أقرب إلى خطة كلينتون التي قبلتها السلطة الفلسطينية رسمياً والتي تتحدث عن دولة فلسطينية على ٩٧٪ من الضفة الغربية مع تبادل أراض بنسب متساوية وتقسيم القدس وشطب حق العودة عبر الحديث عن حل عادل لمشكلة اللاجئين يلحظ عودة اللاجئين بشكل محدود إلى أراضي السلطة الفلسطينية التي ستكون منزوعة السلاح وغير قادرة أمنياً أو عسكرياً على تهديد إسرائيل عبر معاهدات أو إتفاقيات مع الدول العربية والإسلامية التي «قد» تظل في حالة عداء مع إسرائيل، غير أن هذا الأمر لا يبدو قريب الحدوث، أقله في المدى المنظور.

تقويم شامل للوضع الإسرائيلي

مستجدّات: خطط يَعلُون والإنتفاضة

ليس هناك أدنى شك في أن عدوان السور الواقي ما زال حاضراً بقوة في الذهنية السياسية والعسكرية الإسرائيلية. هذا العدوان حاضر كذلك في الجدل حول آفاق الوضع في الضفة الغربية بعد إعادة إحتلالها بالكامل، وحاضر أيضاً في الجدل حول آفاق الوضع في الضفة الغربية بعد إعادة إحتلالها بالكامل، وحاضر أيضاً في الجدل حول جدوى اجتياح قطاع غزة بالكامل في عملية «سور واقٍ» جديدة على غرار تلك التي تمت في الضفة الغربية أواخر آذار/ مارس وبداية نيسان/ أبريل من العام الجاري. لذلك لم يكن غريباً أن يتطرّق رئيس أركان جيش الإحتلال موشيه يَعلُون في إحدى أهم مقابلاته مع صحيفة هآرتس «٢٩-٨-٢٠٠٢» إلى الموضوع. يَعلُون عرض أيضاً رؤيته وتصوراته للصراع الإسرائيلي الفلسطيني وفاجأ حتى الكثير من المعلقين الإسرائيليين كما سنرى فيما بعد.

في بداية المقابلة مع الصحافي أوري شبيط شرح يعلون أسباب قناعته بأن الصراع الذي تخوضه إسرائيل الآن في مواجهة الانتفاضة هو صراع وجود، فقال: «مزايا هذا الخطر الوجودي» مخيفة مثل السرطان وحين يهاجمونك من الخارج ترى ذلك يجرحونك، ومقابل ذلك هناك السرطان من الداخل، وهو يقلقني أكثر لأن التشخيص أساسي، إذا لم يكن هناك تشخيص صحيح فإنهم يقولون أن هذا ليس سرطاناً بل ألم في الرأس، حينها يكون العلاج غير مناسب. وأنا أدّعي أن هذا سرطان. تشخيصي المهني هو أن هذه ظاهرة تمثّل خطراً وجودياً، علماً أن هناك كل أنواع الأدوية للظواهر

السرطانية. فهناك من يقول بوجوب بتر أعضاء ولكنني أستخدم الآن العلاج الكيماوي.

وعندما يطلب شبيط توصيفاً للمعركة الحالية «المواجهة» بين جيش الاحتلال وانتفاضة الأقصى يقول يعلون: «المعركة هي بين مجتمعين يتصارعان على الأرض، وإلى درجة معينة على الوجود، أنا لا أعتقد أن المجتمع الفلسطيني يواجه خطراً وجودياً. أما نحن فنواجه خطراً وجودياً وثمة هنا عدم تناسب ولكنه معكوس يبدو للجميع أننا جوليات وهم داوود، أنا أدعي العكس تماماً».

وهنا يستغرب صحافي من هآرتس ويعلق: «إذن لدى الفلسطينيين إحساس بالقوة والعظمة».

فيشرح يعلون وجهة نظره قائلاً: بالتأكيد إنهم يشعرون أن لديهم غطاء من ربع مليار عربي وهم يؤمنون أن الوقت يعمل لصالحهم، وأنه بالدمج بين الإرهاب والديموغرافية سيتعبوننا وسيرهقوننا. ثمة هنا عدم تناسب عسكري آخر لا يوجد لدينا نوايا تدميرية ضدهم وحتى أننا أعربنا عن استعدادنا لمنحهم دولة في حين أنهم غير مستعدين للاعتراف بحقنا في الوجود وكدولة يهودية».

وعن السور الواقي تحديداً، لدى سؤال شبيط عما إذا كانت إسرائيل تقترب من الانتصار في الصراع مع الفلسطينيين أجاب يعلون: منذ السور الواقي وخاصة في الأشهر الأخيرة بدت علامات انهيار في الجانب الفلسطيني، الوضع مختلف تماماً عمّا كان في آذار، يجب الحذر، هذا يشبه لعبة الجودو، في بعض الأحيان يخيل إليك أنك تسقط خصمك ولكنك في النهاية أنت الذي تسقط مع الشخص القابع في «المقاطعة»، يجب توخّي الحذر الشديد. في كل مرة يرثونه فيها يعود كطائر الرمل. النقطة المركزية هنا هي قدرة المجتمع الإسرائيلي على الصمود، هذا هو العنصر الأهم الذي يقف أمام الاختبار في هذه اللحظات وسيقف أمام الاختبار في الفترة القريبة القادمة، وعلى هذا تدور المعركة. حين بادروا إلى المواجهة اعتقد الفلسطينيون أن

إسرائيل لن تصمد حتى أمام عدة عشرات من الإصابات، لقد فوجئوا. في السور الواقي اتضح لهم أن الحديث لا يدور هنا عن عنكبوت بل عن نمر، ولكن إذا رأوا تصدّعات وفرصاً للإنهيار وفرصة الإستسلام الإسرائيلي فإن هذا الإنجاز سيشطب.

يلحّ الصحافي من هآرتس مرة أخرى للحصول على تعريف للنصر من وجهة النظر الإسرائيلية فيطرح يعلون رؤيته: «لقد وصفت ذلك في بداية المواجهة، استيعاب الطرف الفلسطيني أنه بالإرهاب والعنف لا يمكن هزيمتنا وإخضاعنا. وإذا لم يحدث مثل هذا الاستيعاب العميق في نهاية المواجهة سنواجه مشكلة استراتيجية مع خطر وجودي على دولة إسرائيل. وإذا لم يدخل هذا إلى الوعي الفلسطيني والعربي فلن تكون هناك نهاية لمطالبهم منا. رغم قوتنا العسكرية فإنهم سينظرون إلينا كضعفاء، وهذا الأمر لايؤثّر فقط على أوساط الكفاح المسلح بل على أوساط عرب إسرائيل، لذلك فإن هذه المواجهة هامة جداً. هذه مواجهة لم يكن هناك ما هو أهم منها منذ حرب التحرير، لدرجة أنهم حين ينظرون إلى هذه الأيام تاريخياً سيقولون أن حرب الاستقلال كانت الحدث الأهم في تاريخ الدولة وأن الحرب الحالية كانت الحدث الثاني من حيث أهميته».

أعتقد أن مضمون مقابلة يعلون يتحدث عن نفسه ولا يحتاج إلى عظيم شرح، فهو يعيد للصراع هويته الحقيقية، صراع وجود لا صراع حدود. وفي تفاصيل المقابلة، ربما لا ينفصل عن خطوطها العريضة، يرفض يعلون أي إنسحاب أحادي الجانب من طرف إسرائيل من الضفة الغربية وغزة كما يرفض أي تفكيك لأي مستوطنة في الوقت الحالي ولو كانت معزولة وتحتاج إلى كتيبة لحمايتها فإنه سيحتاج إلى أكثر من كتيبة بعد ذلك لحماية بقية المستوطنات من الهجمات الفلسطينية.

أعتقد أيضاً أنه قبل الدخول للآفاق السياسية للوضع الحالي في فلسطين المحتلّة وكجسر واصل بين كلام يعلون وتلك الآفاق لا بد من التعرّض لأهم التعليقات التي وردت في الصحف الإسرائيلية حول تصريحات يعلون.

الكاتب في معاريف دان مرغليت قارن بين موشيه يعلون وعوزي دايان الرئيس السابق لمجلس الأمن القومي فقال: يعلون وعوزي ديان هما من نفس القرية، ديان قدّم الأسبوع الماضي تقريراً يحتوي استنتاجات لمجلس الأمن القومي، شارون رفض هذه الاستنتاجات حتى قبل أن يقرأها وزراؤه، وقد أوصى دايان والخبراء لديه الذين بحثوا في مواضيع تشغل بال رئيس الأركان الهادئ مثل جدار الفصل - عرب إسرائيل - التهديد الإستراتيجي - بأن تحدد إسرائيل خطاً حدودياً على أساس الوضع الديموغرافي حتى لا يتشوّه طابعها الديموقراطي.

مرغليت ينهي مقاله بالدمج بين رؤى يعلون ودايان ويطرح الإستنتاج من هذا الدمج (في ظل غياب شريك فلسطيني لأي اتفاق فإن معنى التوصية هو خطوة أحادية «ذات مميزات سرطانية» كما عبر يعلون عن ذلك، فإن هناك حاجة لمبضع الجراحة الخاص بدايان لأجل أن نقطع ونجدع وننفصل عن تلابيب الوضع الفلسطيني)

أما المحلّل الإستراتيجي في صحيفة هآرتس زئيف شيف فقد قدّم هو الآخر قراءاته لتصريحات يَعَلُون عندما يقارن «الجنرال الفريق» يعلون الإرهاب الفلسطيني بالسرطان فمن الواضح أنه من زاوية استراتيجية يرى في ذلك تهديداً وجودياً لإسرائيل، هذه رؤية لم تكن متبنّاة في الماضي. عندما تحدّث عن المخاطر، عن الفلسطينيين الذين ينقصهم جيش نظامي كبير أو منظومات أسلحة ثقيلة، فمن يرى في الفلسطينيين تهديداً وجودياً سيتوصّل أيضاً إلى نتيجة أنه يجب في المقابل تحقيق حسم عسكري كامل أو إستسلام دون شروط في كل ما يتصل بالعنف والإرهاب، هذه رؤية تفرض بالضرورة تفعيل القوة وتحديد «ثمن باهظ لمن يمسّ إسرائيل».

من جهته قدّم يوئيل ماركوس المعلق أيضاً في صحيفة هآرتس، استنتاجاً آخر لتصريحات يعلون تقدم أيضاً توصيفاً للواقع السياسي الاجتماعي في إسرائيل الآن. قال ماركوس أن شاؤول موفاز ترك طابعاً عميقاً على شكل الصراع مع الفلسطينيين، ومحطته القادمة ستكون الساحة السياسية. أما

يعلون فيبدو كمن يواصل دربه، وهذا وضع غير صحي على خلفية سلطة متهالكة. مجتمع ممزق وساحة سياسية تتجاذب باتجاهات معارضة. الوضع اليوم يذكّرنا بعهد الجمهورية الرابعة في فرنسا، كونها ممزقة سياسياً، فإن الجيش اليميني هو الذي كان يقرّر لها قواعد اللعبة في الجزائر. أما الأمر الأول الذي فعله ديغول حين أقام الجمهورية الخامسة فكان إخضاع الجيش بيد عالية «قوية» إلى السلطة المدنية والاحتياجات السياسية الحقيقية لفرنسا والخروج من الجزائر. ولقد حان الوقت لأن ننعش عندنا القواعد التي تقررت قبل ربع قرن وإخضاع الجيش بشكل قاطع لا يقبل التأويل للقيادة السياسية المنتخبة.

أما بالنسبة للآفاق السياسية المطروحة حالياً كسبيل للخروج من حالة المواجهة والصراع فلا تخرج عن خطة بوش التي طرحها في الرابع والعشرين من يوليو / حزيران الماضي ووثيقة الإتحاد الأوروبي حول خارطة الطرق لجهة إقامة دولة فلسطينية حتى حزيران ٢٠٠٥.

والواقع أن كلا الطرحين «الخطة والخارطة» لا تخرج عن التصورات العامة لرئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون، فإذا كانت خطة بوش كتبت بيد ليكودية كما قال ذات مرة معلّق يديعوت أحرونوت ناحوم برنياع، فإن خارطة الطرق تتماهى تماما في صيرورتها مع تصوّرات ورؤى شارون السياسية والأمنية، حيث يتم الحديث أولاً عن إنهاء الانتفاضة وعودة السلطة للتنسيق الأمني مع جيش الإحتلال مع إجراء إصلاحات سياسية وأمنية وإقتصادية في صفوف السلطة مقابل عودة جيش الإحتلال إلى مواقعه قبل ٢٨ أيلول سبتمبر ٢٠٠٠، مع تجميد الاستيطان. علماً أن هذه المرحلة تتضمن أيضاً إجراء انتخابات فلسطينية وصياغة دستور فلسطيني جديد يلحظ بشكل أساسي المطالب الأميركية والإسرائيلية لجهة تعيين رئيس وزراء فلسطيني يتقاسم المسؤولية والسلطة مع ياسر عرفات.

أما المرحلة الثانية فتتحدّث عن إعلان دولة فلسطينية في آب / أغسطس ٢٠٠٣ بحدود مؤقّتة على ما نسبته ٥٠٪ من أراضي الضفة الغربية وحوالي

٦٥٪ من أراضي قطاع غزة. وهنا يجب الانتباه إلى أن شارون نفسه، وفي الكثير من تصريحاته لا يعارض إقامة دولة فلسطينية مؤقّتة بحدود الحكم الذاتي ووفق اتفاق أوسلو، أي على ٤٢٪ من أراضي الضفة الغربية.

وبالنسبة، للمرحلة الثانية فتلحظ تحوّل السلطة الفلسطينية إلى حكومة انتقالية، وكذلك انطلاق مفاوضات حول اتفاق نهائي يحسم قضايا القدس واللاجئين والحدود وتنتهي المفاوضات بحد أقصى في حزيران/ يوليو ٢٠٠٥، وحسب وثيقة الإتحاد الأوروبي فإن الهدف هو التوصّل إلى إتفاق وفق الخطوط التالية:

- حدود عام ١٩٦٧ مع تعديلات إقليمية متفّق عليها بين الطرفين، تبادل متناسب للأراضي، تواصل بين الضفة الغربية وقطاع غزة.

- القدس كعاصمة لدولتين. فالهوية التعدّدية والطابع الكوني للمدينة وشخصيتها الفريدة كونها مقدسة للأديان التوحيدية الكبرى الثلاثة إضافة إلى الأماكن المقدسة يجب المحافظة عليها وضمانها.

- الترتيبات الأمنية، « دولة فلسطينية محدودة التسلّح».

- حل مشكلة اللاجئين، بشكل عادل حيوي وتدريجي وفق مبدأ دولتين والأخذ بالحسبان مخاوف إسرائيل الديموغرافية.

- الجامعة العربية سوف ترحّب وتقرّ بانتهاء النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني وتعيد التأكيد على إعلان بيروت الصادر في ٢٨ آذار ٢٠٠٢ مع أفق التطبيع الكامل للعلاقات مع إسرائيل بعد إتمام معاهدات السلام بين إسرائيل وسوريا وإسرائيل ولبنان.

- تعهّدات عامة من قبل الأسرة الدولية المانحة للمساعدة في إعادة إعمار فلسطين وتطورها بعيد المدى وعقد مؤتمر للدول المانحة.

- وكوسيلة للعمل والتأكد من علامات الطرق فإنه يجب إنشاء نموذج أصلي لخارطة الطرق بموازاة نموذج الإصلاحات الفلسطينية.

من الواضح أننا بصدد تكرار اتفاق أوسلو سيء الصيت، وفي أحد أبرز

عيوبه «المرحلية». فشارون قد يقبل بالمرحلة الأولى وحتى الثانية، ولكن لا أحد يضمن أن يتم تنفيذ المرحلة الثالثة أو أن تستمر مفاوضات الوضع النهائي ثلاثين سنة بدلاً من ثلاث سنوات كما هو مقرّر.

وعموما فإننا سنطرح وجهة نظر لأحد أهم دعاة التسوية، أمين سر منظمة التحرير الفلسطينية محمود عباس «أبو مازن» الذي قام بصياغة وثيقة توضّح أن سياسة الإستيطان الإسرائيلية في الضفة الغربية والقدس قد تتسبّب في إغلاق الفرصة على تسوية قائمة على حل دولتين لشعبين.

والوثيقة التي نشرتها عميدة هاس في هآرتس تحت عنوان دولة فلسطينية قد تصبح فكرة غير ملائمة قريباً تحذر «من أن مواصلة الأسرة الدولية عدم رغبتها في إيقاف البناء الإسرائيلي وفرض الحقائق على الأرض ونظام التفرقة الفعلي الناجم عن ذلك، سيجبر صانعي القرار الفلسطيني على إعادة النظر في احتمالية ومنطقية حل الدولتين».

وحسب الوثيقة سيترك البناء الإسرائيلي الحالي في الضفة عموما وفي القدس خصوصاً للفلسطينيين إمكانية لدولة إسمية فقط، حيث تكون أشبه بمحمية هندية في أمريكا، وتكون لها إمكانيات محدودة للوصول إلى الأرض والمياه.

عميرة تنقل عن معدّي الوثيقة في مكتب أبي مازن - هم طاقم من القانونيين والأكاديميين والجغرافيين الذين يعملون كطاقم ذو مهمة محدّدة في قضية القدس - قامت إسرائيل خلال العامين الأخيرين باستغلال المجابهة الأخيرة لتوطيد ثلاثة اتجاهات في سياسة الإستيطان الإسرائيلية في القدس. هذه الإتجاهات التي برزت بدايتها قبل اندلاع الانتفاضة بكثير، إغلاق شرقي القدس أمام باقي مناطق الضفة الغربية، عزل شمالي الضفة عن جنوبها وتخريب احتمالات التطور الحضري الفلسطيني بوسائل عديدة، منها توسيع بناء المستوطنات في الضفة عموما وفي القدس خصوصاً.

وبعدما ستعرض الوثيقة كيف أن الجدار الفاصل الذي يبلغ طوله ثلاثة أضعاف طول جدار برلين ويبلغ ارتفاعه الضعفين، سيؤدي في المرحلة

الأولى من إقامته إلى ضم فعلي لـ ٥ ـ ٣٪ من مساحة الضفة. وسيجد ٩٠ ألف فلسطيني أنفسهم في نهاية المطاف قاطنين بين الضفة والخط الأخضر.

واضعوا الوثيقة يخلصون في نهايتها إلى أن الخيار الوحيد الذي سيبقى أمام دعاة التسوية هو «قبول حل دولة واحدة لشعبين، إلا أن إسرائيل لن تقبل بهذا الخيار بسبب تفوّق الفلسطينيين ديموغرافياً، الأمر الذي يهدّد هوية الدولة اليهودية. وعلى ذلك يأمل معدّوا الوثيقة في أن يؤدي الخوف الإسرائيلي من النمو الديموغرافي الفلسطيني بالتحديد إلى دفع الإسرائيليين في نهاية المطاف إلى إعادة النظر في سياستهم الإستيطانية، وربما إلى تقسيم القدس، وأن يصحوا في اللحظة الأخيرة ويقبلوا حل الدولتين لشعبين».

الواضح أن دعاة التسوية يتجاهلون تماماً خيار المقاومة القادر وحده على إجبار إسرائيل على تقديم التنازلات، خاصة مع إصرار القادة العسكريين والسياسيين الإسرائيليين على إلحاق الهزيمة بالوعي الفلسطيني وإجبار الفلسطينيين على الاستسلام لإسرائيل، وهو الأمر الذي لم يتحقّق بعد سنتين من الاستخدام الهائل للترسانة العسكرية الإسرائيلية، ولن يتحقق في ضوء إصرار الشعب الفلسطيني على المقاومة والصمود وهنا يجب الانتباه إلى أن يَعلُون، كما موفاز وشارون، وفي ظل استحالة تحقيق النصر النهائي على الفلسطينيين، يبحثون عن إدارة الصراع وليس حله، الأمر الذي يتبدّى في جواب يعلون حول سؤال ماذا ستكون النهاية وإلى متى سيبقى السيف «إنني أحيل كل من يسأل عن النهاية إلى ما قاله موشيه دايان حيث سألوه في عام ١٩٦٩ ماذا ستكون النهاية قال إن الاهتمام يجب أن ينصبّ على الطريق وليس على الهدف النهائي، على عملية الصراع وليس على المحطّة النهائية، وكأبناء بشر نحن نريد الحل الآن، ولكن في الوضع الذي تعيشه إسرائيل الآن، فإن نزعة الآن هي أم كل الأخطاء، نحن نعيش في بيئة غير بسيطة لا يوجد فيها بعد اعتراف بحقّنا في الوجود، نحن نعيش مائة سنة في إدارة أزمة، لذلك يجب أن نناور فيها في كل الاتجاهات التي تعزز قوتنا، ويجب أن ننتصر في هذه المواجهة وإلا فإن الحرب القادمة لن تكون بعيدة».